

أن تحيا في جنب الله



إعداد: خديجة أحمد إمام



لا يمدك بزوال الحمل، بل بقوة تُعطى لك لتحمله دون أن يسحقك. وهذا هو معنى أن تحيا في جنب الله.

البلاء في ذاته ليس علامة غضب، كما أن النعمة ليست دائماً شهادة رضا. القضية ليست ماذا يحدث لك، بل ماذا يحدث داخلك أثناء ما يحدث؟! ☆ قد يشتد الألم، لكن السكينة تنزل في اللحظة التي كان يُفترض أن تفقد فيها عقلك. ☆ قد يطول الطريق، لكنك لا تضل؛ لأن اليوصلة ما زالت تشير إلى الله. وهنا جوهر اللطف الإلهي: أن يُبتلى الجسد ولا تبتلى الروح. أن يضيق الرزق ولا يضيق الصدر. أن تتأخر الإجابة ولا يتأخر اليقين. الله لا يُعِدُّك ألا تتوَجَّع، لكنه يُعِدُّك ألا تُتْرَكَ وحدك في الوجع..

أمراض القلوب

«الشبهة وأردُّ يرد على القلب يمنعه من رؤية الحق على ما هو عليه.»
ب- أمراض الشهوات (فساد القصد) وهي التي تصيب القوة الإرادية، فيعرف الإنسان الحق لكنه لا يريد له ليل نفسه إلى الهوى. وتشمل: * اتباع الهوى: تقديم مراد النفس على مراد الله. * الغفلة: انغماس القلب في الماديات ونسيان الآخرة.

* القسوة: تحجر القلب نتيجة الذنوب حتى لا تؤثر فيه المواضع.

مقارنة سريعة بين المنهجين

* وجه المقارنة: الإمام الغزالي (الإحياء) | ابن القيم (مدرسة ابن تيمية)

* التركيز: ركز على تزكية النفس والجانب السلوكي الأخلاقي. ركز على التوحيد وعلاقة القلب بالله ومحاربة الشبهات.

* التصنيف: صنفها كـ «مهلكات» (صفات نفسية). | صنفها كـ «عوارض» تمنع القلب من سيره إلى الله
* العلاج: يعتمد كثيراً على المجاهدة والرياضة النفسية. يعتمد على القرآن، تدبر الأسماء الحسنى، والافتقار لله.

كيف تعرف أن القلب مريض؟ (علامات ذكرها ابن القيم).

* ألا تؤلِّه جراحات الذنوب (يفعل المعصية ولا يشعر بضيق).

* أن يجد لذة في معصية الله وراحة في البعد عن ذكره.

* تقديم الأدنى (الدنيا) على الأعلى (الآخرة).

< خلاصة القول: المرض عند الغزالي هو «خلق ذميم» يحتاج لتهديب، وعند ابن القيم هو «انحراف عن الفطرة والتوحيد، يحتاج لإنابة واستشفاء بالوحي.

تعد (أمراض القلوب) من الركائز الأساسية التي تناولها علماء الإسلام، وعلى رأسهم الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» وابن القيم الجوزية في كتابه المتعددة مثل «إغاثة اللفهان» و«مدارج السالكين». رغم اتفاقهما على الجوهر، إلا أن لكل منهما أسلوباً خاصاً في التشخيص والعلاج.

1. أمراض القلوب عند الإمام الغزالي (إحياء علوم الدين)

صنّف الغزالي أمراض القلوب ربيع «المهلكات»، واعتبرها صفات تسيطر على النفس وتمنعها من السعادة الأبدية. أهمها: * الكبر: وهو رؤية النفس بعين العظمة واحتقار الآخرين، واعتبره من أخطر الأمراض لأنه يحجب العبد عن الجنة. * الرياء: وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات، ويسميه «الشرك الأصغر». * الحسد: تمنى زوال النعمة عن الآخرين، وهو اعتراض على قسمة الله. * حب الدنيا: وهو أصل كل خطيئة عند الغزالي، ويشمل حب المال والجاه.

* الغضب: الذي يخرج العقل عن طوره ويؤدى إلى الحقد والعداوة.

2. أمراض القلوب عند ابن القيم

يرى ابن القيم أن القلب يمرض كما يمرض البدن، لكن مرض القلب قد لا يشعر به صاحبه حتى يموت.

وقسم الأمراض إلى نوعين رئيسيين: أ- أمراض الشبهات (فساد العلم)

وهي التي تصيب القوة العلمية في القلب، فتجعله يتشكك في الحق أو يرى الباطل حقاً.



عطاء الله تعالى مُدهش

* لا يجتاز الإنسان منّا أيامه الصعبة بقدر ثباته، بل بقدر يقينه بالله تعالى. * ولا ينجح بقدر سعیه، بل بقدر توفيقه من الله تعالى. * ولا يأمن قلبه ولا يأنس بوجود أحد بقدر أنسه بالله تعالى. * ولا معنى لأى شيء دون الافتقار إلى الله تعالى والانكسار له.

فأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين يارب.. «عطاء الله تعالى مُدهش.. وِعوض الله تعالى عزيز..»

* لا حد له ولا منتهى، فلا أحد يبأس ويستصعب شيئاً أمام قدرة الله تعالى، إذا جعلك تصبر كثيراً تأكد أنك ستنال ضعف ما كنت تتمنى وستدهش من كرمه..»

يدبر الأمر

قيل لأحد الصالحين ما سرُّ السكينة التي تعتريك؟ فقال: قرأت (يُدبِرُ الأمر) فتركت أمرى لصاحب الأمر. وقرأت (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) ف أدركت أن العسر يسراً لا محالة. وقرأت (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فأدركت أن خير الله. قادم لا محالة..»

اترك أمورك للذى لا يفغل ولا ينام، ووكل أمرك إلى الله سبحانه وتعالى وتقوياً له، فهو أعلم بما ينفك وما يضرك، وإن الله لا يختار لك إلا الخير؛ فدعها لله ولا تحزن.

عندما تقرأ وردك من القرآن في غرفتك في مكتبك

لو نزل القرآن على جبل لتصدع.. ينزل الآن على لسانك أنت ويَتلى في غرفتك الصغيرة وهذا بحد ذاته حدث كوني صامت لا يسمعه البشر ولا يراه لكن يشهده عالمٌ من العالمين تخيل غرفة بسيطة أنت تجلس وحدك تقرأ الآيات بهدوء وفي الغيب ملائكة تصفى وشياطين تهرب ورحمة تنزل



وتظن أنك وحدك.. فأنت في الحقيقة في قلب مشهد غيبي عظيم... لا تراه.. لكن قد تشعر بأنسه ببركته... صوتك المتواضع في الأرض فيسمعه الرب المستوى سبحانه فوق عرشه ويطلق أبواب الرحمة في عالم لا تراه تدنوا ملائكة لتستمع.. تتنادى.. تجتمع حولك تحب أن تسمع كلام الله يتلى من قلب بشرى... ضعيف! يتسع المكان حتى لو كانت الغرفة ضيقة سكوناً وهدهداً... وأنساً بالرحمن لأنك تتلو كلامه ويشعر القلب براحة لا يعرف سببها

فتنفر... وتفر.. كلام الله نور يخترق الظلام والأعظم من كل ذلك أنك حين تتطرق بكلام الله فأنت تحمل في صوتك كلام خالق السماوات والأرض الملك العظيم الذي

لأن الملائكة لا تنزل إلا ومعها الطمأنينة والرحمات.. وفي الزاوية الأخرى من الغيب تضيق الشياطين تحترق من النور الذي يملأ أركان بيتك

وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

«الأنانية» وليسها توب «الوعي»؟ المعركة هنا خطيرة. دي معركة قلب بيموت بالبطين وهو فاكر إنه بيتحرر. فاثبتوا... وراجعوا مفاهيمكم. مش كل حاجة «أنا». مش كل حاجة «حقى». في حاجة اسمها «حق الله في خلقه». في حاجة اسمها «جبر الخواطر». في حاجة اسمها «لين الجانب». ولو في حدود لازم تتحط... تتحط برحمة. تتحط وإحنا بنراعى ربنا في كسر خاطر اللي قدامنا. الدنيا دار ابتلاء... والناس للناس... ومن استغنى عن الناس بالله... كان أكرمهم وأرحمهم بهم، مش أقسامهم عليهم. اخرجوا من سجن «الأنا». اكسروا صنم «الاستحقاق المزيف». وتواضعوا... إنما يرحم الله من عباده الرحماء. (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) ده الميزان. وده اللي بيخلى للحياة طعم، وللعلاقات روح. غير كده... غابة.

بيشفع. كأننا ما صدقنا نلاقى «شماعة نفسية» نعلق عليها أنانيتنا المفرطة. • بتدور على السلام النفسى؟ على عيني وراسى. بس السلام النفسى مش إنك تعيش في فقاعة زجاج وتمشى تدوس على مشاعر الخلق بحجة «حماية حدودى». الحدود معمولة عشان تمنع الأذى المدمر... مش عشان تمنع «الخير» و«المعروف» و«الجدعنة». بقينا بنشوف أم بتشتكى من وجود ابنها اللي بيسمى بزه بيها «ضغط نفسى». زوجة بتتبع زوجها فى أزمتة عشان «أنا أستحق واحد مرتاح مادياً». صاحب بيسيب صاحبه فى وجعه عشان «أنا مش ثيرابيست، أنا عايز طاقة إيجابية». شايف الكارثة؟ شايف إزاي الشيطان زين لنا

طاقتى ما تسمحش، أنا أستحق الأفضل. استحقاق... استحقاق... استحقاق. لحد ما نسينا «الواجب». ونسينا «الفضل». ونسينا «العشرة». فيمكن نفهم؟ إنك مش مركز الكون. وإن مش كل تنازل «ضعف». وإن الصبر على أذى الناس وطبايعهم... ده جزء من تكاليف الدين، مش سذاجة. الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». ويصبر... ويصبر. مش «يعتزل» ويعمل بلوك». فى موجة ججود مرعبة؛ الكل يبيع الكل. عند أول مشكلة... مفيش رصيد

عايز أفضفض بحمل ثقيل على أكتافنا كلنا... عن «صنم» جديد بنعبده واحنا مش حاسين... عن القسوة اللي اتغلقت بورق سوليفان شيك اسمه «الاستحقاق» و«الحدود». كل ما أقرأ وصف الأنصار فى القرآن: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَتُوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) أفق مدهولاً. ناس محتاجة... وفى ضيقة... ومع ذلك بيبجوا على «نفسهم» عشان «غيرهم!». وبعدين أبص لواقعنا دلوقتى... ألقينا مسكنا مفاهيم علم النفس، اللي المفروض رحمة ووعى، وحولناها لسكاكين بندبح بيها بعض بدم بارد. جملة «اعتزل ما يؤذيك»... تحولت لفرمان بقطع الأرحام، وهجر الصحاب عند أول عتاب، وخراب البيوت عند أول مطب. أى حد يطلب منك حق؟ ... «ده توكسيك». أى حد محتاج منك مجهود زيادة؟ ... «ده بيستزف طاقتى». أى حد يغلط غصب عنه؟ ... «أنا

